سلسلة دراسات موضوعية

في القرآن الكريم

1

العدل في القرآن الكريم

مع اليهود

تأليف

أ.د. اسماعيل عبد الرزاق محمود الهيتي الدوسري

أستاذ الفقه المقارن في كلية الإمام الأعظم الجامعة - العراق







العدل في القرآن الكريم مع اليهود

الآيات ١٠٥ إلى ١١٤ من سورة النساء نموذجاً (دراسة موضوعية)

تأليف

أ.د. إسماعيل عبد الرزاق محمود الهيتي

أستاذ الفقه المقارن بكلية الإمام الأعظم الجامعة - العراق

١٤٣٨ هجرية **٢٠١٧ ميلادية**

الآيات الكريمات موضوع البحث

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴿١٠٥﴾ وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا ﴿١٠٧﴾ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴿١١٢﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴿١١٣﴾ ۞ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾(1).

(هذه الآيات تحكي قصة لا تعرف لها الأرض نظيراً، ولا تعرف لها البشرية شبيها.. وتشهد -وحدها- بأن هذا القرآن وهذا الدين لا بد أن يكون من عند الله، لأن البشر- مهما ارتفع تصورهم، ومهما صفت أرواحهم، ومهما استقامت طبائعهم- لا يمكن أن يرتفعوا- بأنفسهم- إلى

(١) سورة النساء: من الآية ١٠٥ إلى الآية ١١٤.

هذا المستوى الذي تشير إليه هذه الآيات؛ إلا بوحي من الله... هذا المستوى الذي يرسم خطاً على الأفق لم تصعد إليه البشرية - إلا في ظل هذا المنهج- ولا تملك الصعود إليه أبداً إلا في ظل هذا المنهج كذلك). (في ظلال القرآن: سيد قطب رحمه الله: ٢/٧٥١).



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث

الحمد لله نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المرسَل إلى الناس داعياً إلى الحق وسراجاً منيراً، وعلى آله وأصحابه وأنصاره، وباركَ وسلَّمَ عليه وعليهم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فإن القرآن الكريم هو المنهج الإلهي الرباني الذي أراده الله أن يكون خاتمة الشرائع الإلهية المنــــزلة على الأنبياء والمرسلين.

ويحمل القرآن الكريم المبادئ العامة والخطوط العريضة والقواسم المشتركة بين سائر الأديان، مع أنه يتضمن أحكاماً خاصة بشريعتنا الإسلامية.

وقد خاطب القرآن أهل الكتاب بتلكم القواعد المشتركة بنحو قوله تعالى: ﴿**قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾[1].

ومما بيّن القرآن الكريم أيضا المشتركات بيننا وبينهم في أحكام الجنايات، قال تعالى: ﴿**وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ**﴾[2].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٦٤.

(٢) سورة المائدة: الآية ٤٥.

وأمر القرآن النبي محمداً ﷺ وكل من أسلم ممن ولاه الله الحكم والفقه وحتى ممن جاء من بعد موسى أن يكون حكمهم بما أنزل الله وما تضمنته الكتب السماوية من أحكام وقواعد ثابتة، وأن من لم يلتزم بذلك فهو كافر، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾[1].

وألزم الجميع أيضاً أن يكون حكمهم بالعدل، وهذا لم يختلف فيه الأمر في سائر الأديان والشرائع السماوية، قال تعالى: ﴿سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[2].

ومن المعلوم في القرآن أيضاً أن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود، قال عز وجل: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[3].

ومع كل هذا العداء الذي سجله القرآن الكريم نجد في طيه آيات تدافع عن جماعة من اليهود في قضية سرقة درع لأحد أصحاب النبي ﷺ، وكانت

(١) سورة المائدة: الآية: ٤٤.

(٢) سورة المائدة: الآية ٤٢.

(٣) سورة المائدة الآية ٨٢.

أصابع التهم القضائية تدين تلك الجماعة من اليهود بحسب الأدلة المتوافرة، وكاد أن يحكم على اليهودي، لكن الوحي والعدالة الإلهية اقتضيا أن أنزل سبحانه وتعالى آيات من القرآن الكريم فبرَّأت اليهودي، وأدانت الصحابي بتلكم الآيات من سورة النساء من الآية ١٠٥ إلى الآية ١١٤.

وهذا تحقيق لمبدأ العدالة مهما كان العداء بيننا وبين الآخرين، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[1].

لقد كانت وقفتي على سر عظمة القرآن الكريم وعدله مع أشد الأعداء هي السبب الأوحد الذي دعاني لكتابة الموضوع، لأخاطب به فكر من ينأى بنفسه اليوم عن منطق العدالة ويسدل غشاء الظلم والظلمات على نور العدل الإلهي مستغلاً الفتن الهوجاء المعاصرة وُبعد العدالة عن كثير من الناس، فكثيراً ما نجد من يحاول رمي التهمة بمن هو بريء منها ويحسب أن الله تعالى غافل عما يظلم به الآخرين، فتيتَّم بسبب تهمته أطفال بلا جريرة اقترفوها، ونساء بلا ذنب ارتكبوه، وبيات قرير العين وكأنَّ شيئا لم يكن، لأخاطبهم بلسان الشاعر الحكيم:

لا تظلمنَّ إذا ما كنت مقتـــدرا	فالظلم عقباه مرجوع إلى الندم
تنام عينـــاك والمظلـــوم منتبـــه	يدعو عليك، وعين الله لم تـــنمِ

هذا واقتضت طبيعة عملي في هذا البحث أن أقسمه - مع هذه المقدمة - إلى ثلاثة مطالب وخاتمة:

---

(١) سورة المائدة: الآية: ٨.

المطلب الأول: سبب نزول الآيات.

المطلب الثاني: بيان دلالات الآيات على العدل القرآني مع اليهود.

المطلب الثالث: أهم الدروس والعظات المستوحاة من الآيات.

الخاتمة: في خلاصة البحث.

أسأل الله تعالى أن ينفعني به ويهدينا سواء السبيل.

المؤلف



المطلب الأول

أسباب نزول الآيات

أطال المفسرون في ذكر أسباب نزول هذه الآيات، وتتلخص في الأسباب الآتية:

➢ **الأول**: أنها نزلت في طعمة بن أبيرق، سرق درعاً في جراب فيه دقيق لقتادة بن النعمان وخبأها عند يهودي، فحلف طعمة: ما لي بها علم، فاتبعوا أثر الدقيق إلى دار اليهودي، فقال اليهودي: دفعها إليَّ طعمة.

➢ **الثاني**: أن يهودياً استودع درعاً فخانه، فلما خاف اطلاعهم عليها ألقاها في دار أبي مليك الأنصاري.

➢ **الثالث**: السلاح والطعام كان لرفاعة بن زيد عم قتادة، وأن بني أبيرق نقبوا بيته وأخذوا ذلك، وهم بُشَير -بضم الباء- ومبشر وبشر، وأوهموا أن فاعل ذلك هو لبيد بن سهل، فشكاهم قتادة إلى رسول الله ﷺ، وأن الرسول هم أن يجادل عن طعمة، أو عن أبيرق، ويقال فيه: طعيمة.

ونقل بعضهم: إجماع المفسرين على أن هذه الآيات نزلت في طعمة بن أبيرق أحمد بني ظفر بن الحرث، إلا أن منهم قال: نزلت في المنافقين[1].

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: (التفسير الكبير) (تفسير الرازي): أبو عبد الله محمد بن عمر ابن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ: ٢١١/١١، البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر- بيروت، ١٤٢٠ هـ: ٥٦/٤.

وهنا سأورد مختصر القصة التي نزلت فيها الآيات أولاً، ثم أذكر أهم الروايات من كتب السنة والتفاسير التي توثقها وتبين درجتها:

ملخص القصة: تذكر الروايات بما ملخصه: أن طعمة بن أبيرق أحد بني ظفر سرق درعا من جار له اسمه: قتادة بن النعمان، في جراب دقيق، فجعل الدقيق ينتثر من خرق كان فيه، وخبأها عند زيد بن السمين - رجل من اليهود - فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد، وحلف: ما أخذها وما له بها من علم، فتركوه، واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى إلى منـــزل اليهودي، فأخذوها، فقال: دفعها إليَّ طعمة، وشهد له ناس من اليهود، فقالت بنو ظفر: انطلقوا بنا إلى رسول الله ﷺ، فسألوه أن يجادل عن صاحبهم، وقالوا: إن لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي، فهمَّ رسول الله ﷺ أن يفعل وأن يعاقب اليهودي، وكاد أن يقطع يده فنـــزلت: هذه الآيات فبرأت اليهودي، وأدانت طعمة. وجاء في بعض الروايات: أن طعمة هرب إلى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق أهله فسقط الحائط فقتله.

هذا ملخص الروايات.. وأهم الأحاديث التي ذكرت سبب النـــزول بهذا النحو: ما رواه الترمذي بسنده (عن عاصم بن عمر بن قتادة عن أبيه عن جده قتادة بن النعمان قال كان أهل بيت منا يقال له بنو أبيرق... -إلى أن قال-: فابتاع عمي رفاعة بن زيد حملا من الدرمك[1] فجعله في مشربة[2] له،

(١) الدرمك: هو الدقيق المحور. ينظر: لسان العرب: محمد بن مكرم بن علـــى، أبـــو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت٧١١هــ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤ هــ: ١٠/٩٦، مادة (درمق).

(٢) المشربة - بفتح الراء وضمها- الغرفة. ينظر: لسان العرب: ٤٩١/١، مادة (شرب).

وفي المشربة سلاح ودرع وسيف، فعدى عليه من تحت البيت، فنقب المشربة وأخذ الطعام والسلاح، فلما أصبح أتاني عمي رفاعة فقال: يا ابن أخي: إنه عُديَ علينا في الليلة، فنقب البيت وذُهبَ بطعامنا وسلاحنا، قال: فتجسسنا، فقيل لنا: قد رأينا بني أبيرق قد استوقدوا هذه الليلة ولا نراه إلا على طعامكم، قال: وكان بنو أبيرق قالوا: والله ما نرى صاحبكم الذي أخذ متاعكم إلا لبيد بن سهل - رجل منا له صلاح وإسلام -، فلما سمع لبيد اخترط سيفه وقال: أنا أسرق؟ والله ليخالطنكم هذا السيف أو لنبينن هذه السرقة، قال قتادة: فأتيت رسول الله ﷺ فقلت له: إن أهل بيت منا أهل جفاء عمدوا إلى عمي رفاعة، فنقبوا مشربته وأخذوا سلاحه وطعامه، فقال عليه السلام: سأنظر في ذلك، فلما سمع بنو أبيرق أتوا رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله: إن قتادة بن النعمان وعمه عمدوا إلى أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح فرموهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت فقال عليه السلام لقتادة: عمدت إلى أهل بيت ذكر منهم إسلام وصلاح فرميتهم بالسرقة على غير ثبت؟ قال: فرجعت فأخبرت عمي فقال: الله المستعان، فلم نلبث أن نزل القرآن ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا﴾ بني أبيرق ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ﴾ مما قلت لعباده.. إلى آخر الآيات).

هذا مختصر رواية الترمذي وقال هذا حديث غريب ولا نعلم أحداً أسنده عن إسحاق بن محمد إلا محمد بن سلمة الحراني، وقد رواه يونس بن بكير وغير واحد عن محمد ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة مرسلاً لم يذكروا فيه عن أبيه عن جده، وقتادة بن النعمان هو أخو أبي سعيد الخدري

لأمه[1]. وهذا ما نقله جماعة من الفسرين[2].

وكذلك رواه الحاكم في مستدركه، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي[3]، ورواه الطبراني في معجمه وزاد في آخره:

---

(١) سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق : أحمد محمد شاكر (جـ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ٤، ٥)، نشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي- مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م. وبين درجته في النص أعلاه: ٣٤٤/٥.

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري): محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، نشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ-٢٠٠٠ م: ١٧٨/٩، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (تفسير الزمخشري): أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي- بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ: ٥٦١/١، تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير): أبو الفداء إسماعيل ابن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون- بيروت، ط١-١٤١٩ هـ: ١٦٠/٢، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية- القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤ م: ٣٧٥/٥، الدر المنثور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت: ٦٧٠/٢.

(٣) المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١١هـ: ٤٢٦/٤.

(وأنه نقب على قوم بيتهم ليسرق متاعهم فألقى الله عليه صخرة وكانت قبره)[1].

ورواه الطبري في تفسيره عن قتادة قريبا من هذا اللفظ فقال: حدثنا بشر ابن معاذ حدثنا يزيد بن هارون ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله تعالى ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ إلى قوله ﴿خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ قال: ذكر لنا أن هذه الآية نزلت في شأن طعمة بن أبيرق -وكان من الأنصار وهو من بني ظفر- سرق درعا لعمه كانت وديعة عنده ثم قذفها على يهودي كان يغشاهم يقال له: زيد بن السمين، فجاء اليهودي إلى نبي الله يهتف، فلما رأى ذلك قومه بنو ظفر، جاءوا إلى النبي ﷺ ليعذروا صاحبهم، وكان عليه السلام قد هم يعذره، حتى أنزل الله في حقه ما أنزل فقال: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ .. ﴾ الآية، فلما بين الله شأن طعمة نافق ولحق بالمشركين بمكة، فأنزل الله في شأنه ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ .. ﴾ الآية[2].

وأنقل الآن بعد هذا كله رواية أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري (ت ٤٦٨هـ) بنصها كما ذكرها في كتابه (أسباب النزول) حيث قال: (قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ أنزلت كلها في قصة واحدة. وذلك أن رجلاً من الأنصار يقال

(١) المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط٢، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م: ٩/١٩.

(٢) تفسير الطبري: (جامع البيان): ٩/١٨٢ -١٨٣.

له: طعمة بن أبيرق أحد بني ظفر بن الحارث سرق درعاً من جار له يقال له: قتادة بن النعمان، وكانت الدرع في جراب فيه دقيق، فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى إلى الدار وفيها أثر الدقيق، ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له: زيد بن السمين، فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد عنده وحلف لهم: والله ما أخذها وما له به من علم، فقال أصحاب الدرع: بلى والله قد أدلج علينا فأخذها وطلبنا أثره حتى دخل داره، فرأينا أثر الدقيق. فلما أن حلف تركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهوا إلى منـــزل اليهودي فأخذوه، فقال: دفعها إلي طعمة بن أبيرق، وشهد له أناس من اليهود على ذلك، فقالت بنو ظفر وهم قوم طعمة: انطلقوا بنا إلى رسول الله ﷺ، فكلموه في ذلك، فسألوه أن يجادل عن صاحبهم، وقالوا: إن لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح وبرئ اليهودي، فهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يفعل، وكان هواه معهم وأن يعاقب اليهودي، حتى أنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ الآية كلها، وهذا قول جماعة من المفسرين[1].



(١) أسباب نزول القرآن: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح - الدمام، ط٢، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م: ص: ١٨١.

المطلب الثاني

تفسير وبيان دلالات الآيات على العدل القرآني مع اليهود

❑ المعنى الإجمالي:

بدأت الآيات ببيان بعض مراد الله تعالى في إنزال الكتاب - وهو الحكم- بالحق بين الناس، ثم ثنَّت بالنهي عن الدفاع عن الخائنين، واستمر النص يوضح حيثيات هذا المعنى حتى الآية التي تذكر رسول الله ﷺ بفضل الله عليه، والتذكير بفضل الله - الذي منه إنزال الكتاب والحكمة- مرتبط بموضوعي الحكم بالحق، وعدم الدفاع عن الخائنين. فلا يليق بأحد بعد إنزال الكتاب والحكمة أن يحكم إلا بالحق، كما لا يليق به أن يدافع عن أهل الباطل. وفي الآية الأخيرة تذكير لرسول الله ﷺ بفضل الله عليه، بإنزال الكتاب والحكمة، وبالعصمة التي خصه بها[1].

مناسبة هذه الآية لما قبلها: إن الله تعالى لما صرح بأحوال المنافقين، واتصل بذلك أمر المحاربة وما يتعلق بها من الأحكام الشرعية، رجع إلى أحوال المنافقين، فإنهم خانوا الرسول على ما لا ينبغي، فأطلعه الله على ذلك وأمره أن لا يلتفت إليهم[2].

❑ موجز بدلالات ومعاني الآيات:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾[3].

---

(١) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج : د. وهبة بن مصطفى الزحيلي: دار الفكر المعاصر - دمشق، ط٢، ١٤١٨ هـ، ٢٥٧/٥.

(٢) ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان: ٥٦/٤.

(٣) سورة النساء: الآية: ١٠٥.

﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ أي حال كونك متلبساً به، والحق: الصدق، أو الأمر والنهي والفصل بين الناس، وهناك ثلاثة أوجه أخرى يحتملها: الأول: الكتاب حق. والثاني: أن فيه ذكر الحق. والثالث: أنك -يارسول الله- به أحق[1].

﴿بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ﴾ ذكروا وجهين: أحدهما: بما أعلمك الله أنه حق. والثاني: بما يؤديك اجتهادك إليه وألهمك الله بالنظر في الأصول المنـــزلة أنه حق. وفيه دليل على جواز الاجتهاد في حقه ﷺ[2]، وسيأتي تفصيل في المطلب اللاحق بهذا الشأن.

﴿وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ أي لا تكن لأجل الخائنين مخاصماً عنهم[3].

ومهما تكن من أقوال في الآية فإنها بلا شك آمرة بأن يلتزم وليّ الأمر، القائم على القضاء بين المتخاصمين- جانب الحيادة المطلقة، وأن يخلى نفسه من كل ما يندسّ إليها من مشاعر البغضة والعداوة للمذنب، الذي ينتظر جزاء ذنبه.. وأنه إذا كان لولي الأمر أن ينكر المنكر وأن يأخذ أهله بالقصاص، فإنه ليس له أن يكون خصماً للمجرم، المذنب، وهو قاضيه، والحاكم عليه.. إذ لا يتفق أن يكون الإنسان خصماً وحكماً في وقت معاً..

(١) ينظر: تأويلات أهل السنة: تفسير الماتريدي: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦ هـ-٢٠٠٥ م: ٥٢٨/١.

(٢) ينظر: تفسير النسفي: ٣٩٣/١.

(٣) ينظر: فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب- دمشق، بيروت، ١٤١٤هـ ٥٩٠/١.

إن ذلك لا يتفق أبداً حتى في مقام النبوة، وبين يدي النبيّ فنبهه الحق جل وعلا بقوله ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ فكيف بغير النبي من عباد الله؟[1].

﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[2].

أي: ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ يا محمد عن جدالك عن طعمة حين كذَّبت عَنْهُ فأبرأتُه من السرقة[3].

﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾[4].

وهنا أعاد النهي عن الدفاع عن الخائنين بعد قوله ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ بقوله: ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ ...﴾.

والمجادلة: المقاتلة، من قولهم: جدلت الخيل، أو: المنازعة من الإلقاء على الجدالة، والمجادلة أشد المخاصمة، والجدال المطلق مذموم، ولهذا لم يطلقه للنبي -ﷺ- حتى قيده، قال: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ﴾[5].

والاختيان: افتعال من الخيانة، واختيالهم أنفسهم، وهو لفظ عام يندرج طيه أصحاب النازلة، ويتقرر به توبيخهم.

---

(١) ينظر: التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم يونس الخطيب (ت بعد ١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي ، القاهرة ٨٩٩/٣.

(٢) سورة النساء: الآية: ١٠٦.

(٣) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت١٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ: ٤٠٥/١.

(٤) سورة النساء: الآية: ١٠٧.

(٥) سورة فصلت: جزء من الآية: ١٢٥.

والخوّان: هو الذي تتكرر منه الخيانة، والأثيم: هو الذي يقصدها، فيخرج من هذا الشديد الساقط مرة واحدة ونحو ذلك مما يجيء من الخيانة بغير قصد أو على غفلة.

واختيان الأنفس: هو بما يعود عليها من الإثم والعقوبة في الدنيا والآخرة أي: يخونوها بالمعصية. جعلت معصية العصاة خيانة منهم لأنفسهم. كما جعلت ظلما لها لرجوع ضررها إليهم(١).

﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾(٢).

﴿ يَسْتَخْفُونَ ﴾ أي: يستترون ويستحيون من الناس، يريد بني ظفر بن الحارث.

قال الضحاك: لما سرق الدرع اتخذ حفرة في بيته وجعل الدرع تحت التراب، فنـــزلت ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ يقول: لا يخفى مكان الدرع على الله ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾ أي رقيب حفيظ عليهم.

ويحتمل: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي يستترون، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِٱلَّيْلِ ﴾(٣) أي مستتر.

ويحتمل: يستحيون من الناس، وهذا لأن الاستحياء سبب الاستتار. أي: يستترون حياء منهم وخوفاً من ضررهم وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ، فلا يستحيون منه ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾، أي: وهو عالم بهم مطلع عليهم لا يخفى عليه خاف من سرهم.

---

(١) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني: ١٤٢٧/٣.

(٢) سورة النساء: الآية: ١٠٨.

(٣) سورة الرعد: جزء من الآية: ١٠.

قال الزمخشريّ: وكفى بهذه الآية ناعية على الناس ما هم فيه من قلة الحياء والخشية من ربهم، مع علمهم، إن كانوا مؤمنين، أنهم في حضرته لا سترة ولا غفلة ولا غيبة، وليس إلا الكشف الصريح والافتضاح[(١)].

وقوله تعالى: ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ﴾ أي ما لا يرضاه الله لأهل طاعته[(٢)].
﴿مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ أي من الرأي والاعتقاد، كقولك: مذهب مالك الشافعي[(٣)].
و﴿ٱلْقَوْلِ﴾ بمعنى المقول، لأن نفس القول لا يُبيَّت، فالمعنى: أنهم يدبرون ويزوّرون الحلف الكاذب ورمي البريء وشهادة الزور[(٤)].

وعلى أي احتمال فالذي لا يرضاه الله من القول -وعرف من سياق سبب النـــزول- هو أن طعمة قال: أرمي اليهودي بأنه هو الذي سرق الدرع، وأحلف أني لم أسرقها، فيقبل الرسول يميني؛ لأني على دينه ولا يقبل يمين اليهودي[(٥)].

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ أي: علمه محيط، وإرادته محيطة، ولا يكون شيء إلا به، فكيف لا يستحيون منه وهم يعصونه ويدبرون في معصيته[(٦)].

---

(١) ينظر : تفسير الزمخشري: ٥٦٣/١.
(٢) ينظر: تفسير القرطبي: ٣٧٩/٥.
(٣) ينظر المصدر السابق نفسه.
(٤) بنظر: المصدر السابق نفسه.
(٥) ينظر: تفسير الرازي: ٢١٤/١١.
(٦) ينظر: الأساس في التفسير: سعيد حوّى (ت ١٤٠٩هـ)، دار السلام- القاهرة، ط٦، ١٤٢٤ هـ: ١١٧٩/٢.

﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ﴾[1].

نقلنا قبل قليل أن المجادلة: أشد المخاصمة. والمعنى: هَبُوا أنكم خاصمتم عن السارق وقومه في الدنيا، فمن يخاصم عنهم في الآخرة إذا أخذهم الله بعذابه؟[2].

وقوله تعالى ﴿أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ﴾ حافظاً ومحامياً من بأس الله تعالى وانتقامه[3].

﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا ﴾[4].

﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا ﴾ السوء هنا: الذنب دون الشرك ﴿أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ﴾ بالشرك، ويحتمل أن يكون المراد بالسوء القبيح الذي يتعدى ضرره إلى الغير، والظلم للنفس: ما يختص ضرره بفاعله. ﴿ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ ﴾ أي: يسأل الله مغفرته ﴿يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا﴾ له ﴿رَّحِيمٗا ﴾ به[5].

﴿ وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾[6].

﴿وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا ﴾ أي: ذنبا ﴿فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۚ ﴾ لأن وباله عليه

---

(١) سورة النساء: الآية: ١٠٩.

(٢) ينظر: الكشاف (تفسير الزمخشري): ١/٥٦٣.

(٣) ينظر: المصدر السابق نفسه.

(٤) سورة النساء: الآية: ١١٠.

(٥) ينظر: تفسير النسفي: ١/٣٩٤.

(٦) سورة النساء: الآية: ١١١.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا ﴾ بمن أذنب ﴿ حَكِيمًا ﴾ ومن حكمته أنه لا يعاقب بالذنب إلا صاحبه[1].

﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾[2].

﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ﴾ يحتمل أن يراد بالخطيئة هنا الصغيرة، وبالإثم الكبيرة، ويحتمل أن يكون المراد بالخطيئة هنا الذنب بينه وبين ربه، وبالإثم الذنب في مظالم العباد ﴿ ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا ﴾ أي: ثم يتهم بهذا الذنب أو الخطيئة غير فاعله ﴿ فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ البهتان: الكذب العظيم، إذ البهتان كذب يبهت من قيل عليه ما لا علم له به، والإثم المبين هو الذنب الظاهر، وقد اجتمعت الصفتان فيمن يفعل ما ذكرته الآية[3].

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[4].

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ ﴾ أي: ولولا عصمة الله وحفظه ولطفه ﴿ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ ﴾ أي: من الناس ﴿ أَن يُضِلُّوكَ ﴾ أي: عن القضاء بالحق وتوخي طريق العدل وجعلك تدافع عن العصاة، ﴿ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ﴾ بمحاولتهم، وهمهم وتبييتهم؛ لأن وبال ذلك عليهم. أما رسول الله ﷺ

(١) ينظر: الأساس في التفسير: ١/١١٧٩.

(٢) سورة النساء: الآية: ١١٢.

(٣) ينظر: الأساس في التفسير: ١/١١٧٩.

(٤) سورة النساء: الآية: ١١٣.

فمحفوظ بحفظ الله، وكذلك من كان على قدمه، مع فارق العصمة فهو عليه الصلاة والسلام معصوم، ومن على قدمه تحتمل في حقه الزلة. ﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ﴾ إن وقفت عند حدود الله، وعملت بما ظهر لك، و لم يخطر ببالك أن الحقيقة على خلاف ذلك. ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ أي: السنة. ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ أي: من أمور الدين والشرائع ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ أي: فيما علمك وأنعم عليك[1].

والخطاب لرسول الله ﷺ، خطاب لأمته، فهذا الفضل على رسول الله ﷺ ورثته عنه أمته[2]، فهي خير أمة أخرجت للناس مادامت متمسكة بمقومات الخيرية التي نص عليها بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[3].

﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[4].

قال القرطبي: (أراد ما تفاوض به قوم بني أبيرق من التدبير، وذكروه للنبي ﷺ.

---

(١) ينظر: مدارك التنـزيل (تفسير النسفي): ١/٣٩٥، محاسن التأويل (تفسير القاسمي): محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٨هـ: ٣/٣٢٧.

(٢) ينظر: الأساس في التفسير: ١/١١٧٩.

(٣) سورة آل عمران: جزء من الآية ١١٠.

(٤) سورة النساء: الآية: ١١٤.

والنجوى: السربين الاثنين، تقول: ناجيت فلانا مناجاةً ونجاءً وهم ينتجونَ ويتناجونَ. ونجوتُ فلانا أنجوه نجواً، أي ناجيته، فنَجْوى مشتقة من نجوتُ الشيء.. أنجوه، أي: خلصته وأفردته، والنجوة من الأرض: المرتفع؛ لانفراده بارتفاعه عما حوله،.. فالنجوى: المسارة، مصدر، وقد تسمى به الجماعة، كما يقال: قوم عدل ورضا، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾(1)، فعلى الأول يكون الأمر أمر استثناء من غير الجنس، وهو لاستثناء المنقطع، وتكون ﴿من﴾ في موضع رفع، أي: لكن من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ودعا إليه ففي نجواه خير. ويجوز أن تكون ﴿من﴾ في موضع خفض ويكون التقدير: لا خير في كثير من نجواهم إلا نجوى من أمر بصدقة ثم حذف. وعلى الثاني -وهو أن يكون النجوى اسما للجماعة المنفردين- فتكون ﴿من﴾ في موضع خفض على البدل، أي لا خير في كثير من نجواهم إلا فيمن أمر بصدقة. أو تكون في موضع نصب على قول من قال: ما مررت بأحد إلا زيداً.

وقال بعض المفسرين منهم الزجاج: النجوى: كلام الجماعة المنفردة أو الاثنين كان ذلك سراً أو جهراً، وفيه بُعد. والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ عام في الدماء والأموال والأعراض، وفي كل شي يقع التداعي والاختلاف فيه بين المسلمين، وفي كل كلام يراد به وجه الله تعالى.

وفي الخبر: "كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا ما كان من أمر بمعروف أو

---

(1) سورة الإسراء: جزء من الآية ٤٧.

نهي عن منكر أو ذكر لله تعالى"[1] فأما من طلب الرياء والترؤس فلا ينال الثواب. وكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: رد الخصوم حتى يصطلحوا، فإن القضاء يورث بينهم الضغائن[2][3].



(١) رواه الترمذي وابن ماجه من حديث أم حبيبة، وقال الترمذي حديث غريب. ينظر: سنن الترمذي: ٦٠٨/٤، سنن ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجه اسم أبيه يزيد (ت٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي: ١٣١٥/٢.

(٢) السنن الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط٣، ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٣ م: ١٠٩/٦.

(٣) تفسير القرطبي: ٢٤٢/٥-٢٤٣.

المطلب الثالث

أهم الدروس والعظات المستوحاة من الآيات

➢ **أولاً**: قوله تعالى: ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ احتج به من ذهب من علماء الأصول إلى أنه كان ﷺ له أن يحكم بالاجتهاد بهذه الآية، وبما ثبت في الصحيحين "أن رسول الله ﷺ سمع جلبة خصم بباب حجرته، فخرج إليهم فقال: ألا إنما أنا بشر، وإنما أقضي بنحو مما أسمع، ولعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له، فمن قضيت له بحق مسلم، فإنما هي قطعة من النار فليحملها أو ليذرها"[(١)](٢).

وتعقب السيوطي من استنبط من الآية بأنها تدل على إثبات الرأي

---

(١) صحيح البخاري: (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، ١٤٢٢هـ: ٣/١٨٠، رقم ٢٦٨٠، كتاب الشهادات، باب من أقام البينة بعد اليمين، صحيح مسلم: (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ): مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت: ٣/١٣٣٧، رقم ١٧١٣، كتاب الأقضية، باب الحكم بالظاهر.

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير: ٢/٣٥٨، وينظر: الفصول في الأصول: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت٣٧٠هـ)، نشر: وزارة الأوقاف الكويتية، ط٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م: ٤/٣٣٩، الإحكام في أصول الأحكام: أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (ت٦٣١هـ)، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق - لبنان.: ٤/١٦٥.

والقياس بما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس أنه قال: إياكم والرأي. فإن الله تعالى قال لنبيه: ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾. و لم يقل: بما رأيت[1].

ويمكن أن يكون هذا الحكم عاما، فالمجتهد إذا ظهر عنده الحكم بدليل ظني من خبر الآحاد أو القياس فالعمل به واجب بدلائل قطعية من الكتاب والسنة والإجماع ما لم يظهر دليل راجح يخالفه فالحكم المظنون عند المجتهد بعد بذل جهده وإن كان غير معلوم عنده أنه في نفس الأمر، لكنه معلوم عنده أنه واجب العمل.

➢ **ثانياً**: قوله تعالى ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ..﴾ في الآية دعوة إلى طلب المغفرة من الله مما تضمره النفس من مشاعر العداوة والبغضاء لأهل السوء الذين أخذوا بذنبهم، وربما كان لذلك أثره في الشدة عليهم، وسدّ كل منافذ التسامح دونهم، فيما كان يمكن أن يحمل على التسامح.. وهذا الأدب السماوي للنبي الكريم تأديب لنا، وتحذير من الجور في القضاء، وحراسة

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (تفسير ابن أبي حاتم): أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، السعودية، ١٤١٩ هـ: ١٠٥٩/٤، ورواه عنه وعن غيره السيوطي. ينظر: الدر المنثور: ٦٧٧/٢، ورواه ابن عبد البر وذكر احتمال صحة نحو هذه الآثار عن عمر ﵁ وقال: (ويخرج معناها على أن من شك في شيء تركه، ومن حفظ شيئاً وأتقنه جاز له أن يحدث به، وأن الإكثار يحمل الإنسان على التقحم أن يحدث بكل ما سمع من جيد ورديء وغث وسمين) جامع بيان العلم وفضله: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٤ م: ١٠١٠/٢.

للنفس من الدوافع التي تدفع بها إلى الانحياز إلى جانب أحد المتخاصمين، وهو المعتدى عليه، والشدة المجاوزة للحدّ على المعتدي.

قال الرازيّ: تمسك بهذه الآية من يرى جواز صدور الذنب من الأنبياء مما يجوز صدوره منهم، وقالوا: لو لم يقع من الرسول ﷺ ذنب لما أمر بالاستغفار. ثم أجاب عن ذلك بوجوه:

➢**الأول**: لعله مال طبعه إلى نصرة طعمة بسبب أنه كان في الظاهر من المسلمين فأمر بالاستغفار لهذا القدر، وحسنات الأبرار سيئات المقربين.

➢**والثاني**: لعل القوم لما شهدوا على سرقة اليهودي وعلى براءة طعمة من تلك السرقة و لم يظهر للرسول عليه الصلاة والسلام ما يوجب القدح في شهادتهم همّ بأن يقضي بالسرقة على اليهودي، ثم لما أطلعه الله تعالى على كذب أولئك الشهود عرف أن ذلك القضاء لو وقع لكان خطأ، فكان استغفاره بسبب أنه هم بذلك الحكم الذي لو وقع لكان خطأً في نفسه وإن كان معذوراً عند الله فيه.

➢**الثالث**: يحتمل أن يكون المراد: واستغفر الله لأولئك الذين يذبون عن طعمة ويريدون أن يظهروا براءته عن السرقة[1].

وقال القاضي عياض: (إن تصرف الأنبياء عليهم السلام بأمور لم ينهوا عنها ولا أمروا بها، ثم عوتبوا بسببها، أو أتوها على وجه التأويل- إنما هي ذنوب بالإضافة إلى علوّ منصبهم وإلى كمال طاعتهم. لا أنها كذنوب غيرهم ومعاصيهم)[2]. ثم

---

(١) مفاتيح الغيب (تفسير الرازي): ٢١٢/١١-٢١٣.

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: للعلامة القاضي أبي الفضل عياض اليحصبي (ت٥٤٤ هـــ) مذيل بالحاشية المسماة: مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء: للعلامة أحمد ابن محمد بن محمد الشمني ٨٧٣، دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع: ١٦٩/٢.

قال: (وأيضاً، فإن في التوبة والاستغفار معنى آخر لطيفا أشار إليه بعض العلماء. وهو استدعاء محبة الله. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[1] فإحداث الرسل والأنبياء الاستغفار والتوبة والإنابة والأوبة في كل حين استدعاء لمحبة الله والاستغفار فيه معني التوبة)[2].

➢**ثالثاً**: قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ...﴾.

يرى الرازي أن في الآية تهديداً شديداً؛ (لأن النبيّ ﷺ لما مال طبعه قليلاً إلى جانب طعمة، وكان في علم الله أن طعمة كان فاسقاً، فالله تعالى عاتب رسوله على ذلك القدر من إعانة المذنب، فكيف حال من يعلم من الظالم كونه ظالماً ثم يعينه على ذلك الظلم، بل يحمله عليه ويرغّبه فيه أشد الترغيب؟)[3].

وإنما قيل للخائنين ﴿يَخْتَانُونَ﴾ مع أن الخائن واحد، لأن المراد به هو ومن عاونه من قومه، وهم يعلمون أنه سارق. أو ذكر بلفظ الجمع ليتناوله وكل من خان خيانته[4].

كما أنه إنما ذكر بلفظ المبالغة ﴿خَوَّانًا﴾؛ لأنه تعالى علم منه أنه مفرط في الخيانة وركوب المآثم. ويدل له أن طعمة هرب إلى مكة وارتدّ. كما ذكرنا في سبب النـــزول. وعن عمر ﵁، أنه أمر بقطع يد سارق. فجاءت أمه تبكي وتقول: هذه أول سرقة سرقها فاعف عنه، فقال: كذبت،

---

(١) سورة البقرة: جزء من الآية: ٢٢٢.

(٢) الشفا: ١٧٢/٢.

(٣) مفاتيح الغيب (تفسير الرازي): ٢١٣/١١.

(٤) ينظر: محاسن التأويل: (تفسير القاسمي): ٣٢٥/٣.

إن الله لا يؤاخذ عبده في أول مرة[1][2].

➢ **رابعاً**: قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ مَعَهُمْ ...**﴾ قالت بعض الفرق: هو بكل مكان، تمسكاً بهذه الآية وما كان مثلها، قالوا: لما قال ﴿**وَهُوَ مَعَهُمْ**﴾ ثبت أنه بكل مكان؛ لأنه قد أثبت كونه معهم، تعالى الله عن قولهم، فإن هذه صفة الأجسام، والله تعالى متعال عن ذلك.. ألا ترى مناظرة بشر في قول الله عز وجل: ﴿**مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ**﴾[3] حين قال: هو بذاته في كل مكان، فقال له خصمه: هو في قلنسوتك وفي حشوك وفي جوف حمارك؟! تعالى الله عما يقولون. حكى ذلك وكيع رضي الله عنه[4].

➢ **خامساً**: قوله تعالى: ﴿**إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ ...**﴾ المعروف لفظ يعم أعمال البر كلها. وقال مقاتل: المعروف هنا الفرض، والأول أصح. وقال ﷺ: "كل معروف صدقة"[5]. ومن شرط المعروف ترك الامتنان به، وترك الإعجاب بفعله؛ لما فيهما من إسقاط الشكر وإحباط الأجر[6].

---

(١) لم أعثر عليه سوى عند الزيلعي في: تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف: جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي (المتوفى: ٧٦٢هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة - الرياض، ط١، ١٤١٤هـ: ٣٥٩/١، وسكت عنه.

(٢) ينظر: تفسير القاسمي: ٣٢٥/٣.

(٣) سورة المجادلة: جزء من الآية ٧.

(٤) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): ٣٧٩/٥.

(٥) صحيح البخاري: ١١/٨، رقم ٦٠٢١، كتاب الأدب، صحيح مسلم: ٦٩٧/٢، رقم ١٠٠٥، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف.

(٦) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ٢٤٣/٥.

➢ **سادساً**: الآيات وإن كان لها سبب نزول فإن عمومها يمتد ليشمل كثيراً من المسائل -على قاعدة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب عند أغلب الأصوليين[1]- ومنها: المحاماة التي هي في كثير من أحوالها دفاع عن العصاة والخائنين، لا بل يدخل تحت هذا العموم الدفاع عن أي مذنب وعاص، وخائن لله ورسوله وجماعة المسلمين.

➢ **سابعاً**: كل الروايات التي تحدثت عن سبب نزول هذه الآيات أجمعت على تبرئة القرآن الكريم لليهودي وأدانت الصحابي بتهمة السرقة.

❑ وهنا أحببت أن أختم بحثي بنتف من أزاهير تعليقات سيد قطب - رحمه الله- وهو يتأمل هذه الآيات في ظلال القرآن فيقول: (هذه الآيات تحكي قصة لا تعرف لها الأرض نظيراً، ولا تعرف لها البشرية شبيها، وتشهد - وحدها- بأن هذا القرآن وهذا الدين لا بد أن يكون من عند الله؛ لأن البشر - مهما ارتفع تصورهم، ومهما صفت أرواحهم، ومهما استقامت طبائعهم- لا يمكن أن يرتفعوا - بأنفسهم- إلى هذا المستوى الذي تشير إليه هذه الآيات؛ إلا بوحي من الله.. هذا المستوى الذي يرسم خطاً على الأفق لم تصعد إليه البشرية - إلا في ظل هذا المنهج- ولا تملك الصعود إليه أبداً إلا في ظل هذا المنهج.

كذلك إنه في الوقت الذي كان اليهود في المدينة يطلقون كل سهامهم المسمومة التي تحويها جعبتهم اللئيمة، على الإسلام والمسلمين؛ والتي حكت هذه السورة وسورة البقرة وسورة آل عمران جانباً منها، ومن فعلها في الصف المسلم.. في الوقت الذي كانوا فيه ينشرون الأكاذيب، ويؤلبون المشركين،

---

(١) ينظر: الأشباه والنظائر: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت٧٧١هـ)، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م: ٢/١٣٤.

ويشجعون المنافقين، ويرسمون لهم الطريق، ويطلقون الإشاعات، ويضللون العقول، ويطعنون في القيادة النبوية، ويشككون في الوحي والرسالة، ويحاولون تفسيخ المجتمع المسلم من الداخل، في الوقت الذي يؤلبون عليه خصومه ليهاجموه من الخارج.. والإسلام ناشئ في المدينة، ورواسب الجاهلية ما يزال لها آثارها في النفوس، ووشائج القربى والمصلحة بين بعض المسلمين وبعض المشركين والمنافقين واليهود أنفسهم، تمثل خطراً حقيقياً على تماسك الصف المسلم وتناسقه، في هذا الوقت الحرج، والخطر، الشديد الخطورة.. كانت هذه الآيات كلها تتنـــزل على رسول الله ﷺ وعلى الجماعة المسلمة، لتنصف رجلاً يهودياً اتهم ظلماً بسرقة؛ ولتدين الذين تآمروا على اتهامه، وهم بيت من الأنصار في المدينة، والأنصار يومئذ هم عدة الرسول ﷺ وجنده، في مقاومة هذا الكيد الناصب من حوله، ومن حول الرسالة والدين والعقيدة الجديدة!.

أي مستوى هذا من النظافة والعدالة والتسامي! ثم أي كلام يمكن أن يرتفع ليصف هذا المستوى؟ وكل كلام، وكل تعليق، وكل تعقيب، يتهاوى دون هذه القمة السامقة، التي لا يبلغها البشر وحدهم، بل لا يعرفها البشر وحدهم، إلا أن يقادوا بمنهج الله، إلى هذا الأفق العلوي الكريم الوضيء؟!...

إن المسألة لم تكن مجرد تبرئة برئ، تآمرت عليه عصبة لتوقعه في الاتهام - وإن كانت تبرئة برئ أمراً هائلاً ثقيل الوزن في ميزان الله- إنما كانت أكبر من ذلك كانت هي إقامة الميزان الذي لا يميل مع الهوى، ولا مع العصبية، ولا يتأرجح مع المودة والشنآن أياً كانت الملابسات والأحوال. وكان هنالك سبب آخر وهو أن الأمر في الأنصار. الأنصار الذين آووا ونصروا. والذين قد يوجد هذا الحادث بين بعض بيوتهم ما يوجد من الضغائن. بينما أن اتجاه الاتهام إلى يهودي، يبعد شبح الشقاق! وكان هنالك سبب ثالث، هو عدم

إعطاء اليهود سهماً جديداً يوجهونه إلى الأنصار، وهو أن بعضهم يسرق بعضاً، ثم يتهمون اليهود! وهم لا يدعون هذه الفرصة تفلت للتشهير بها والتغرير! ولكن الأمر كان أكبر من هذا كله، كان أكبر من كل هذه الاعتبارات الصغيرة، الصغيرة في حساب الإسلام، كان أمر تربية هذه الجماعة الجديدة لتنهض بتكاليفها في خلافة الأرض وفي قيادة البشرية، وهي لا تقوم بالخلافة في الأرض ولا تنهض بقيادة البشرية حتى يتضح لها منهج فريد متفوق على كل ما تعرف البشرية وحتى يثبت هذا المنهج في حياتها الواقعية، وحتى يمحص كيانها تمحيصاً شديداً وتنفض عنه كل خبيئة من ضعف البشر ومن رواسب الجاهلية، وحتى يقام فيها ميزان العدل - ﴿لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾- مجرداً من جميع الاعتبارات الأرضية، والمصالح القريبة الظاهرة، والملابسات التي يراها الناس شيئاً كبيراً لا يقدرون على تجاهله! واختار الله- سبحانه- هذا الحادث بذاته، في ميقاته.. مع يهودي.. من يهود التي يذوق منها المسلمون الأمرين إذ ذاك في المدينة والتي تؤلب عليهم المشركين، وتؤيد بينهم المنافقين، وترصد كل ما في جعبتها من مكر وتجربة وعلم لهذا الدين! وفي مدة حرجة من حياة المسلمين في المدينة، والعداوات تحيط بهم من كل جانب، ووراء كل هذه العداوات يهود! اختار الله هذا الحادث في هذا الظرف، ليقول فيه -سبحانه- للجماعة المسلمة ما أراد أن يقول، وليعلمها به ما يريد لها أن تتعلم! ومن ثم لم يكن هناك مجال للباقة! ولا للكياسة! ولا للسياسة! ولا للمهارة في إخفاء ما يحرج، وتغطية ما يسوء! ولم يكن هناك مجال لمصلحة الجماعة المسلمة الظاهرية! ومراعاة الظروف الوقتية المحيطة بها! هنا كان الأمر جداً خالصاً، لا يحتمل الدهان ولا التمويه! وكان هذا الجد هو أمر هذا المنهج الرباني وأصوله، وأمر هذه الأمة التي تُعَدّ لتنهض بهذا المنهج

وتنشره، وأمر العدل بين الناس، العدل في هذا المستوى الذي لا يرتفع إليه الناس- بل لا يعرفه الناس - إلا بوحي من الله، وعون من الله.

وينظر الإنسان من هذه القمة السامقة على السفوح الهابطة - في جميع الأمم على مدار الزمان- فيراها هنالك.. هنالك في السفوح.. ويرى بين تلك القمة السامقة والسفوح الهابطة صخوراً متردية، هنا وهناك، من الدهاء، والمراء، والسياسة، والكياسة، والبراعة، والمهارة، ومصلحة الدولة، ومصلحة الوطن، ومصلحة الجماعة.. إلى آخر الأسماء والعنوانات.. فإذا دقق الإنسان فيها النظر رأى من تحتها.. الدود..!! وينظر الإنسان مرة أخرى فيرى نماذج الأمة المسلمة -وحدها- صاعدة من السفح إلى القمة.. تتناثر على مدار التاريخ، وهي تتطلع إلى القمة، التي وجهها إليها المنهج الفريد.

أما الذي يسمونه [العدالة] في أمم الجاهلية الغابرة والحاضرة، فلا يستحق أن نرفع عنه الغطاء، في مثل هذا الجو النظيف الكريم..)[1].

حقاً إن (العدالة القرآنية المطلقة) -وهي عنوان هذه الآيات الرئيس- حكت لنا قصة واقعية من قصص المبادئ السامية لا أسطورة كتبت للتأريخ فقط، بل لتبقى إلى الأبد قبساً من قبسات النور القرآني الخالد يتلألأ في دياجير الظلم مهما تنوعت أساليبه، وما دام الناس بهدي ذلك النور متمسكين فلن يضلوا، ويبقون في تيه وضياع وتمزق ما داموا عنه معرضين.



---

(١) في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت١٣٨٥هـ)، دار الشروق - بيروت - القاهرة، ط١٧، ١٤١٢ هـ: ٢/٧٥٢- ٧٥٣.

الخاتمة

في خلاصة البحث

بعد التأمل والتدبر والبحث في الآيات الكريمات خلصت إلى الآتي:

● الأغلب أن سبب نزول الآيات أن طعمة بن أبيرق أحد بني ظفر سرق درعا من جار له اسمه: قتادة بن النعمان، في جراب دقيق، فجعل الدقيق ينتثر من خرق كان فيه، وخبأها عند زيد بن السمين -رجل من اليهود- فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد، وحلف: ما أخذها وما له بها من علم، فتركوه، واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى إلى منـــزل اليهودي، فأخذوها، فقال: دفعها إليَّ طعمة، وشهد له ناس من اليهود، فقالت بنو ظفر: انطلقوا بنا إلى رسول الله ﷺ، فسألوه أن يجادل عن صاحبهم، وقالوا: إن لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي، فهمَّ رسول الله ﷺ أن يفعل وأن يعاقب اليهودي، وكاد أن يقطع يده فنـــزلت: هذه الآيات فبرأت اليهودي، وأدانت طعمة. وجاء في بعض الروايات: أن طعمة هرب إلى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق أهله فسقط الحائط فقتله.

● أكثر الأصوليين استنبطوا من هذه الآيات أن النبي ﷺ له أن يحكم بالاجتهاد.

● دعت الآيات إلى طلب المغفرة من الله مما تضمره النفس من مشاعر العداوة والبغضاء لأهل السوء الذين أخذوا بذنبهم.

● استنبط بعضهم جواز صدور الذنب من الأنبياء مما يجوز صدوره منهم، وقالوا: لو لم يقع من الرسول ﷺ ذنب لما أمر بالاستغفار. وأجيب عن ذلك بوجوه عدة تم عرضها في البحث، ومنها: واستغفر الله لأولئك الذين يذبون عن طعمة ويريدون أن يظهروا براءته عن السرقة..

● عموم الآيات يشمل كثيرا من المسائل ومنها: المحاماة التي هي في كثير من أحوالها دفاع عن العصاة والخائنين، لا بل يدخل تحت هذا العموم الدفاع عن أي مذنب وعاص، وخائن لله ورسوله وجماعة المسلمين.

● كل الروايات التي تحدثت عن سبب نزول هذه الآيات أجمعت على تبرئة القرآن الكريم لليهودي وأدانت الصحابي بتهمة السرقة، وفي الآيات تهديد ووعيد شديد لكل من يعلم من الظالم كونه ظالماً ثم يعينه على ذلك الظلم.



المصادر

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المصادر سوى القرآن الكريم مرتبة على الحروف الهجائية:

١- الإحكام في أصول الأحكام: أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (ت٦٣١هـ)، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان.

٢- الأساس في التفسير: سعيد حوّى (ت ١٤٠٩هـ)، دار السلام- القاهرة، ط٦، ١٤٢٤هـ.

٣- أسباب نزول القرآن: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح- الدمام، ط٢، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٤- الأشباه والنظائر: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت ٧٧١هـ)، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

٥- البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر- بيروت، ١٤٢٠ هـ.

٦- تأويلات أهل السنة: تفسير الماتريدي: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٧- تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف: جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي (المتوفى: ٧٦٢هـ)، تحقيق: عبد الله ابن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة- الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.

٨- تفسير الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت٥٠٢هـ): جزء ١، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، نشر: كلية الآداب- جامعة طنطا، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، جزء ٢، و٣، تحقيق ودراسة: د. عادل بن علي الشدي، دار الوطن- الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣ م جزء ٤، ٥، تحقيق ودراسة: د. هند بنت محمد بن زاهد سردار، نشر: كلية الدعوة وأصول الدين- جامعة أم القرى، ط١،١٤٢٢ هـ- ٢٠٠١م.

٩- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (تفسير ابن أبي حاتم): أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، السعودية، ١٤١٩هـ.

١٠- تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير): أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ.

١١- التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم يونس الخطيب (ت بعد ١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي - القاهرة.

١٢- تفسير مقاتل بن سليمان: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت ١٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.

١٣- التفسير المنير: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج : د وهبة بن مصطفى الزحيلي: دار الفكر المعاصر، دمشق، ط٢، ١٤١٨ هـ.

١٤- جامع بيان العلم وفضله: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

١٥- جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري): محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر،نشر: مؤسسة الرسالة، ط١،١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

١٦- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية- القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.

١٧- الدر المنثور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، دار الفكر - بيروت.

١٨- سنن ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجه اسم أبيه يزيد (ت٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية- فيصل عيسى البابي الحلبي.

١٩- سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق : أحمد محمد شاكر (جـ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ٤، ٥)، نشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي- مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

٢٠- السنن الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط٣، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٢١- الشفا بتعريف حقوق المصطفى: للعلامة القاضي أبي الفضل عياض اليحصبي (ت٥٤٤هـ) مذيل بالحاشية المسماة: مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء: للعلامة أحمد بن محمد بن محمد الشمنى ٨٧٣، دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع.

٢٢- صحيح البخاري: (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢٣- صحيح مسلم: (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ): مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢٤- فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب- دمشق، بيروت، ١٤١٤هـ.

٢٥- الفصول في الأصول: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت ٣٧٠هـ)، نشر: وزارة الأوقاف الكويتية، ط٢، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

٢٦- في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت١٣٨٥هـ)، دار الشروق - بيروت- القاهرة، ط١٧، ١٤١٢ هـ.

٢٧- الكشاف عن حقائق غوامض التنـــزيل (تفسيرالزمخشري): أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـــ)، دار الكتاب العربي- بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـــ.
٢٨- لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت٧١١هـــ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـــ.
٢٩- محاسن التأويل (تفسير القاسمي): محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت١٣٣٢هـــ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه- بيروت، ط١، ١٤١٨هـــ.
٣٠- مدارك التنـــزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي): أبو البركات عبد الله ابن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت٧١٠هـــ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـــ- ١٩٩٨م.
٣١- المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت٤٠٥هـــ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١١هـــ.
٣٢- المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت٣٦٠هـــ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية- القاهرة، ط٢، ١٤١٥هـــ-١٩٩٤م.
٣٣- مفاتيح الغيب: (التفسير الكبير) (تفسير الرازي): أبو عبد الله محمد بن عمر ابن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـــ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـــ.